

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 15 (2011) : 257 - 268
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

# دور المرأة التارقية في نشر ثقافة السلام بين الأمس واليوم

نبيلة عبد الشكور
جامعة الجزائر

للمرأة دور أساسي في عملية نشر ثقافة السلام في المجتمع وعلى كافة مستوياته، وهذه العملية لا تتم إلا من خلال مشاركة المرأة الفعلية فيها، إلا أنه في المجتمعات التقليدية ولأسباب متعددة لا تعطى المرأة دور الشراكة في عملية البناء والمساهمة في تقدم المجتمع ويقتصر دور المرأة أساساً في معالجة الأفعال ونتائج العنف والحروب من مآسي إنسانية واجتماعية التي يقوم بها مجتمع الرجال صاحب القرار.

يرتكز دور المرأة التارقية في نشر ثقافة السلام على ثلاثة مرتكزات أساسية، تشكل مجتمعة الإطار الذي تتفاعل المرأة داخله، سلباً أو إيجاباً، مع قضية السلام، وهذه المرتكزات هي:

1. السلام الذاتي أو الشخصي.
2. السلام الأسري
3. السلام الوطني.

وانطلاقاً من تشخيص واقع المرأة في المجتمعات التقليدية وتفاعلها مع هذه المرتكزات الثلاثية، والموقع الذي تحتله ضمنها، ومدى تأثيرها في البيئات التي تنتمي إليها، لهذا تعد المرأة التارقية سباقة عن غيرها من نساء العالم في عملية البناء والتقدم ونشر ثقافة السلام .

لقد حفظت المصادر التاريخية الصورة المشرقة التي رسمتها عن المرأة التارقية التي اعتادت على الحرية والنفوذ،كما نالت مكانة متميزة في المجتمع الصحراء الكبرى، وتمتعت بالمساواة التامة مع الرجل واقتنت الثروات، وشاركت في مجلس القبيلة وفي الأمور الهامة، وكان من مظاهر أثر هذا المركز الممتاز الذي تمتعت به المرأة التارقية أن الرجل كان ينسب إلى أمه في بعض الأحيان ...

لن تستطيع المرأة أن تؤدي دوراً في نشر ثقافة السلام إذا كانت تشعر بأنها لا تعيش أجواء سلام ذاتي، وبأن علاقتها مع ذاتها لا تسودها مشاعر الرضا والأمان وعدم الخوف والاطمئنان على المستقبل. إن توافر العوامل والضمانات الإيجابية يقيم حالة استقرار داخلي لدى المرأة،

ويجعلها مؤهلة للاضطلاع بدور ما على صعيد السلام في محيطها وفي خارجه.

وقد ظلت المرأة التارقية معززة مكرمة لها الحقوق كبيرة، وهذه صور توضح مكانتها التي نالتها، فهي تقوم بأعمال تتلاءم أنوثتها، وكانت لا تُضرب بغير حق، ولا تعضل لأدنى سبب، وحرص الولي أو المجتمع في تربيتها والعناية بها، ولا تُظلم المرأة التارقية حين يتأخر زواجها فتعنس، أو تزوج بغير إذنها وبمن لا ترغب، ولا تُظلم المرأة حين يُسخط منها حين تولد، أو تُلعن وتسب حين تكبر، ولا تجبر على زوج فاسد الدين أو سيئ الخلق، كما أنها تتمتع بحرية كبيرة في مالها.

ولا يمكن للمرأة أن تنشر السلام داخل أسرتها ومجتمعها إذا كانت تعيش في داخلها حرباً لم تحسم نتيجتها بعد، لجهة الإقرار بحقوقها المعنوية والاجتماعية والسياسية، وسيكون من الصعب على الأسرة التي تنتمي إليها المرأة أن تعوّل على دور إيجابي لها في نشر ثقافة السلام بين أفرادها إذا كانت مقومات السلام الداخلي لديها غير ثابتة الأسس وواضحة المعالم. ودور المرأة الفطري يقوم على نشر ثقافة السلام بين أبنائها انطلاقاً من الأسس التي تقوم عليها الأسرة (المحبة، التعاون، التفاعل، التماسك...) مما يؤهلها لإعداد أفراد سلميين، كما يتيح لها نجاحها ضمن الأسرة إلى الانطلاق إلى آفاق أكثر اتساعاً.

في ظل هذه الثوابت مازالت المرأة تنشأ في المجتمع التارقي المعاصر، التي هي امتداد طبيعي للأسرة في الزمن القديم مع بداياتها الأولى مروراً بالعصر الإسلامي الذي ترك بصمات واضحة على وظيفة وأثر الأسرة في النواحي التربوية والاجتماعية وتقوية الروابط بين أفراد المجتمع الواحد، ففي مرحلة من مراحل تطور الأسرة كانت الأسرة التارقية كبيرة الحجم، وكان الرجل مع المرأة يعملان على رعاية الأبناء والاهتمام بشئونهم ومثلما يحدث مع الأبناء والصغار يحدث مع الآباء الكبار حيث يقوم بعض الأبناء برعاية أبويهم حينما يبلغ الكبر أحدهما أو كلاهما، ذلك أن الروابط الأسرية في المجتمع التارقي قائمة على دعائم إسلامية .

وقد تناسبت أدوار وآثار المرأة في المجتمع التارقي، فقد تقوم بجميع الوظائف السياسية والاجتماعية والاقتصادية تقريباً في الحدود التي يسمح بها نطاقها وبالقدر الذي تقتضيه ظروف المجتمع الصحراوي.

في الحقيقة أن التميز التي تتمتع به المرأة التارقية في الحاضر يعود الى العهود التاريخية الماضية، وجدناها تملك الحرية والاستقلالية أكثر من غيرها في بلاد الوطن العربي، وتحدث بعض المؤرخين عن مكانتها الهامة في عهد دولة المرابطين، واختلفت آراؤهم حول تعليل سبب ذلك، فبعضهم ردّها إلى تأثير التنظيم القبلي القائم على مبدأ المساواة بين أفراد القبيلة، والبعض الآخر أرجعها إلى البيئة البربرية التي اعتادت فيها المرأة على الحرية والنفوذ[1]، قد تمتعت

بالمساواة التامة مع الرجل واقتنت الثروات، وشاركت في مجلس القبيلة وفي الأمور الهامة، وشاركت في الحياة العامة، وبرزت مواهبها وكفاءتها في الميادين المختلفة، وفيما يلي بعض الصور عن المكانة التي بلغتها في العصر المرابطي، ويتجلى ذلك فيما يلي:

**أولا: الميدان الاجتماعي:**

**هناك بعض العادات التي تشبثت بها المرأة التارقية في الحاضر، تعود الى العصر المرابطي[1]، نحاول توضيح ذلك حسب الإشارات التي ذكرتها المصادر التاريخية، نذكر منها:**

**أولا– عادة السفور:**

**احتفظت نساء الملثمين (المرابطين) بهذه العادة التي شبت عليها في مواطنهن الأصلية بالصحراء، ولم يتخلّين عنها في جل المدن المغربية والأندلسية التي استقررن بها، على الرغم من الضغوطات الاجتماعية المتمثلة في توسع انتشار ظاهرة حجاب المرأة بجل تلك المدن خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وعلى الرغم من إلحاح أغلب الفقهاء عليه وتشددهم في ذلك، إلى درجة أن النوازل الفقهية لهذا القرن كانت لا تجيز إمامة الرجل الذي يترك امرأته سافرة غير متحجبة[2]، غير أنه لم يؤثر عليها، في هذا الشأن سيطرة الفقهاء على مقاليد الأمور في الدولة المرابطية ونفوذهم في المجتمع آنذاك.**

**ومن الأمثلة المشهورة على تشبثهن بهذه العادة ما وجده المهدي بن تومرت حوالي سنة (514هـ/1120م) بمرّاكش بعد رجوعه من المشرق، فبينما هو في بعض الأيام في طريقه، إذ رأى أخت أمير المؤمنين في موكبها، ومعها الجواري الحسان عدة كثيرة، وهن مسفرات، وكانت عادة الملثمين يسفر نساؤهم وجوههن ويلثم الرجال، حين رأى النساء كذلك أنكر عليهن وأمرهن بستر وجوههن، وضرب هو وأصحابه دوابهن، فسقطت أخت الأمير عن دابتها، ورفع أمره إلى أمير المسلمين[3]**

**ثانيا– عادة انتساب الأبناء إلى أمهاتهم:**

**عرف الكثير من وجهاء المرابطين من أمراء، ووزراء وولاّة أقاليم وقادة عسكريين كبار بالانتساب إلى أمهاتهم، وحملت كذلك كثير من البيوتات المرابطية الشهيرة اسم الجدة، في حين نجد أن هذه العادة غير مقبولة في المجتمع الذكوري بالمشرق الإسلامي، ولا نجد في الأسر المرابطية حرجا أو غضاضة في الانتساب للأم لأنه كان من أعرافهم، وقد ذكر لنا البيدق [4] وحده ثلاثة عشر اسما من كبار الشخصيات التي انتسبت للأم من قادة عسكريين وولاة على الأقاليم، وانتسبت إليها بيوتات كان لها شأن كبير في تاريخ الدولة المرابطية، ونكتفي هنا بإيراد بعض النماذج من البيوتات المشهورة باسم الجدة [5] ومنها:**

**– ابن عائشة [6]**

**– بني صارة (7)**

**– عبد الله بن فاطمة (8)**

**– ابن الأميرة فاطمة (9)**

**– بن غانية (10)**

**كما اشتهر بعض العلماء بنسبهم إلى أمهاتهم كذلك، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: أبو الحسن بن سكينة (11)، ونسب الولد إلى أمه أضحى ظاهرة شائعة في الإخوة، نذكر منهم: أولاد مية،أولاد الكسيمية، وفي الأولاد نذكر منهم: أولاد بنت السيد، أولاد بنت كلاد، وأولاد امباركة، أولاد العالية، وأولاد عيشة، وغيرهم(12)...، كما ينسب الولد إلى قبيلة الأم مثل: هنون العبيدي نسبة إلى العبيدات قبيلة أمه(13).**

**ثالثا– مشاركة المرأة المرابطية في قرارات الدولة:**

**1: المجال السياسي:**

**المثال البارز الذي يوضح مشاركة المرأة في تسيير الشؤون السياسية والإدارية لمجتمعها المرابطي (الصنهاجي) تتمثل في الشخصية التاريخية الأميرة "زينب النفزاوية"(14) المشهورة في المصادر التاريخية، تبدو كأنها امرأة غير عادية إذ اتهمها ابن عذاري بأنها:"ساحرة وتكلّمها الجن"، ولكن يغيب عن هؤلاء التفسير التاريخي المتمثل في طبيعة المجتمع اللمتوني، الذي يسمح للمرأة بالمشاركة بجانب الرجل في ميادين الحياة العامة، فاستفادت زينب النفزاوية من تلك الفرصة وفرضت نفسها فأثرت في الأحداث، ولم تكن تخرج عن المألوف الاجتماعي في ذلك الأمر(15).**

**فقد استفادت كغيرها من المرابطيات بحق التطليق، فقد اضطر زوجها الثالث الأمير أبو بكر بن عمر(16) إلى تطليقها بعد زواج دام ستة أشهر فيما يبدو(17)، حينما قرر الرجوع إلى الصحراء فجأة حوالي سنة (452هـ/1060م)، فأبو بكر لم يعمل إلا على الامتثال للعرف الصنهاجي القديم في مثل هذه الحالة، وهو الطلاق، وليس الأمر كما تحاول المصادر أن تبرر طلاقه لها سواء بالإشفاق عليها من تحمل مناخ الصحراء القاسي وشظف العيش بها، وأنه عمل بالمثل المغربي القائل: "للي طلقها ما كا يورها دار أباها"، وقد وردت عند ابن عذاري رواية أقرب لما وقع" قيل أنها هي التي طلبت منه بذلك"(18).**

**ما يمكن استخلاصه من هذه الحادثة هو أن أبا بكر بن عمر عندما طلقته زينب هذه لم يكن رغما منه، فمعنى ذلك أنه قرر أن يرجع إلى الصحراء بصفة نهائية، وأن قرار الرجوع قد اتخذ بعد التفاهم مع ابن عمه يوسف بن تاشفين، القائد يوسف بن تاشفين الذي كان نائبا عنه بالمنطقة**

إذن ليس في المسألة غموض، كما ذهب إلى ذلك البعض، ومن جهة أخرى فإن المصادر تنسب لزينب النفزاوية بأنها صاحبة فكرة الانقلاب الأبيض الذي وصل بموجبه يوسف تاشفين السلطة، وذلك بعد أن أوعزت إلى الأمير أبي بكر بالتّخلي عن الزعامة لابن عمّه يوسف بعد رجوعه من الصحراء،و إقناعه بتسليم الأمر له، حيث وضعت خطة مدروسة ومحكمة لهذا الغرض نفذتها بإحكام، معتمدة على معرفتها بنفسية أبي بكر وأخلاقه وميوله السلمية وتقواه وديانته، إذ أوصت يوسف أن يستعرض قوته العسكرية أمامه،وفي نفس الوقت عرفت كذلك كيف تستمل أنصاره وجنوده بإغداق الهدايا عليهم[19]. وإذ كان يصعب تأكيد وقبول هذه الرواية التي تبدو، للوهلة الأولى أنها مصطنعة وموضوعة، لكنها تبين في الوقت نفسه مدى تأثير هذه المرأة في المجال السياسي، لأن مما لا شكّ فيه أنها شاركت زوجها الجديد في وضع وتنفيذ سياسة فتح المغرب الأقصى، "إذ كانت القائمة بملكه المديرة لأمره، الفاتحة بسياستها أكثر بلاد المغرب، وكانت عنوان سعده"[20]، في الحقيقة أنه لم يأت مثل هذا الدور السياسي لزينب النفزاوية من فراغ، بل قام بناءً على عادات الأسر الأمسية التي لازالت راسخة لدى المرابطين إلى ما بعد عصر يوسف بن تاشفين، وعلى أية حال، لم تكن المرأة المرابطية هي الوحيدة التي تدخلت في الشؤون السياسية للدولة فقد احتفظت النساء المرابطيات بنفوذ قوي في تسيير الأمور العامة،لأن رجوع أبي بكر بن عمر للصحراء كان بسبب إصغائه لقول "ممثلة الرأي العام" في قبيلتها، وهي امرأة عجوز وذلك حين قالت: "ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله إلى بلاد المغرب"[21].كما نقلت لنا المصادر تدخل بعض النساء في تعيين أو عزل بعض الموظفين، بل بلغ لأمر بإحداهنّ وهي زينب بنت إسحاق الحرة إلى امتحان القاضي عبد العزيز بالأندلس، وما أدراك ما وظيفية القاضي خاصة في هذا العهد الذي كان للفقهاء فيه نفوذ قوي[22].

وقد نقل لنا عبد الواحد المراكشي في (معجمه) صدى هذا النفوذ الواسع للمرأة الصنهاجية، هكذا لم تغير الحركة الإصلاحية المرابطية، ولا البيئة الجديدة المغربية الأندلسية، كثيرا من عادات المرابطين الاجتماعية، رغم أنها زعزعت أركان الأسرة الأميسة لديهم، فأصبح الإرث في الزعامة السياسية يتم لديهم ابتداء من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أي من عهد يوسف بن تاشفين وما بعده ،عن طريق الأب وليس عن طريق الأم[23].

ونستخلص أن مكانة المرأة المرابطية في العصر الوسيط كانت رفيعة ومميزة عن غيرها، حيث كانت تشارك في الحياة العامة، وتجلس مع الرجل لمناقشة قضايا القبيلة، وتدلي برأيها من غير استحياء ولا حرج، وتحترم زوجها، وتبدي زينتها للأقرب والأبعد على السواء[24]، وهذه الصفات مازالت سائدة في بعض القبائل التارقية المنتشرة في صحراء المغرب العربي.

2- أما في المجال الحربي: كان للمرأة المرابطية صيت وممارسة عملية عند ما كانت

**تخوض الحرب عند الضرورة للدفاع عن النفس، ومن البطولات في هذا الصدد نذكر الفارسة فانو بنت عمر بن ينتان[25] التي قاومت الموحدين ببسالة سنة (541هـ/1146م) أثناء احتلالهم لمدينة مراكش بعد حصار لها دام تسعة أشهر، فكانت تحاربهم عند قصر الحجر،لذلك فلم يستطيعوا دخوله حتى استشهدت تلك الفتاة، وأخبرنا البيدق[26] فقال: "كانت في ذلك اليوم تقاتل الموحدين وهي في هيئة رجل، وكان الموحدون متعجبون من قتالها، ومن شدة ما أعطاها الله من الشجاعة وهي بكرًا، فلما ماتت حينئذ دخل القصر،ولم يعرف الموحدون هل هي امرأة حتى ماتت".**

**وأيضا الأميرة تمكونت بنت الأمير سير بن أبي بكر، التي وقعت في أسر الموحدين في صحبة ألف وخمس مائة امرأة مرابطية سنة (535هـ/1140م) وطالبت مقابلة الخليفة عبد المؤمن بن علي الكومي، ذكرته بفضل أبيها سير الذي شفع لمهدي بن تومرت لدى علي بن يوسف بمراكش، فراعى لها المؤمن ذلك وهم بإطلاق سراحها وحدها، لكنها أصرت على أن يطلق معها باقي الأسيرات وإلا فلن تقبل أن تسرح وحدها، وحصل لها ما أرادت، فوصلت مراكش معززة مكرمة مع رفيقاتها، فرد المرابطون هذا الجميل بإطلاق أسيرات موحديات حصلن في أيديهم [27].**

**3- المجال الاقتصادي:**

**أما عمل المرأة التارقية فقد تمثّل في مختلف أنواع الأنشطة الاقتصادية، فبعض النساء، يقمن بخبز الدقيق في بيوتهن ثم يأتي من يحمله إلى الأفران ليقوم الخبازون بخبزه [28]، والبعض منهن امتهنت حرفة الحلاقة وجعلتها شرطا في صداقها[29]، والأخريات بائعات اللّبن، كما دخلت المرأة التارقية السوق كبائعة أو مشترية ودلالة وسمسارة[30] وحتى عونا للمحتسب كأمينة[31] ويخبرنا السقطي بأن المرأة المرابطية بالأندلس :"شاركت التجار في تجارة الرقيق وعرفت باسم – الأمينة – التي كانت توافقهم في الغش وتشهد باستبراء الخدم بمقتضى مراد التجار وبحسب ما يعطي المشترين بقصد التعجيل بالإجماع بهن"[32].**

**أمّا المرأة في الصحراء، فهي الأخرى كانت نشيطة، وإلى جانب شغلها بالبيت وتربية الأطفال، كانت المتزوجات ترافقن أزواجهن في الحقول، خصوصا في موسم البذر والحصاد، كما امتلكت بعضهن الأراضي الشاسعة وامتلكت المواشي من بقر وغنم وجمال، ووكلت عليها من يقوم بخدمتها، في حين كانت المرأة الفقيرة، والأرملة، والمطلقة إلى بيع الخبز والفواكه والخضر والبيض والجبن والحطب على حافة الطريق المعتادة من طرف المسافرين، وعرفت بالنشاط الدائم من أجل الكسب الحلال[33].**

**رابعا: المجال العلمي والثقافي:**

**تألقت المرأة الصنهاجية في سماء الثقافة والأدب، ونالت من ذلك نصيبا وحظا وافرا من العلم والمعرفة لا يقل عمّا بلغه الرجال، وإذا كان حضورها متساويا مع الرجال في بيئتها الأصلية بالصحراء، كانت متفوقة أحيانا أخرى مع بعض الفطاحل شمال الصحراء، خاصة عندما توفرت لها بالمغرب والأندلس مراكز العلم وصالونات الآداب: كحاضرة تلمسان، فاس، مراكش وقرطبة وغرناطة، إذ أقبلت على التعليم على عادتها في الصحراء، وحرصت على نشر العلم والأدب برعاية الشيوخ الذين قدموا لها مساعدات، واحتفظت المصادر بأسماء شهيرات في العلوم والأدب، نذكر منهن على سبيل المثال لا الحصر:**

**– تميمة اللمتونية[34]: بنت يوسف بن تاشفين، كانت كاملة الحسن، راجحة العقل، مشهورة بالأدب والكرم، سكنت مدينة فاس، ورآها يوما كاتبها فبهت، عرفت ما**

**دهاه، وفطنت لما عراه، فأنشدته:**

**هي الشمس مسكنها في السما فعز الفؤاد عزاء جميلا**

**فلن تستطيع إليها الصعود ولن تستطيع إليك النزولا [35]**

**– حواء بنت تاشفين[36]: بنت أخ ليوسف بن تاشفين من أمه، وزوجة قائد مرابطي مشهور هو سير بن أبي بكر الذي ولي أشبيلية مدة أربعة وعشرين سنة، كانت هذه السيدة "أديبة شاعرة جليلة ماهرة ذات نباهة وبديهية وبراعة، وكانت تعقد المجال الأدبية ويحضرها كبار الشعراء والكتاب في البلاط المرابطي، وتستمع إلى أحاديثهم في الشعر وتنتقد عليهم وتحاضرهم، منهم الوزير والفيلسوف مالك بن وهيب الأندلسي والشاعر الكبير ابن القصيرة وغيرهم من فحول أدباء عصرها، الذين تزخر بهم مدينة مراكش من علماء المغرب والأندلس، كما مدحها شعراء كثيرون منهم الرجال والشّاعر الأعمى التطيلى الذي خصها بقصيدة طويلة[37].**

**نذكر منها هذين البيتين:**

**أنثى سما باسمها النادي وكم ذكر يدعى كأن اسمه من لؤمه لقب**

**وقلما قلص التأنيث صاحبه إذا تذكرت الأفعال والنصب[38]**

**– مريم بنت إبراهيم بن تفلويت[39]: زوجة الأمير أبي الطاهر تميم كانت كثيرة الصدقات والإحسان بالمعوزين، وهي أديبة تحفظ جملة من الشعر، وقد خلدها الشاعر أبو إسحاق الخفاجي حين مدحها بقصيدة مطولة.**

**– رفاء بنت ينتان الطليلية: سكنت مدينة فاس، اشتهرت بالأدب والشعر وحفظ القرآن وبراعة الخط، توفيت بعد سنة (540هـ /1145م) [40].**

**وقد تنافست الشاعرات المرابطيات على مدح الشعراء لهن، كما يبدو من قصة القاضي**

الأديب الذي مدح حواء – السابقة الذكر زوجة الأمير سير– فغارت زينب النفزاوية من مدح القاضي لها، فما كان منها إلا أن عزلته عن القضاء لمبالغته في مدحها وتفضيلها على سائر النساء بالجمال والكمال، فضلا أن ذلك المدح كان لا يليق بمنزلة القاضي، فلما علم بها عزمت عليه "زينب النفزاوية"، فاعتذر لها وارتجل:

أنت بالشمس لاحقة وهي بالأرض لاصقة [41]

وليست "حواء" المرأة المرابطية الوحيدة التي اتخذت لها كاتبا فقد كان لزينب النفزاوية قبلها وكان من الأدباء الكبار وهو عبد الرحمان بن أسباط (ت487هـ/1094م) عندما جاز البحر من الأندلس "تعلق بحاشية الحرة العليا زينب فاستكتبته" وأقره يوسف كاتبا بعد وفاتها[42].

أما في الحاضر مازالت المرأة التارقية تحظى بمكانة متميزة في مجتمعها، وهذا ما أدى بالكثير من الدارسين لهذا المجتمع بتصنيفه من المجتمعات الامومية، أي أن القرابة من جهة الأم وكذلك النسب والجاه، ومن تم يعتبر الأبناء في جماعة أمهم، حيت يقول **Gast** يتميز السلم الاجتماعي عند التوارق بنفوذ المرأة لأنه مجتمع أمومي.

إن واقع المجتمع التارقي لا يخفي انتقال النسب عن طريق الخط الامومي، حيت انطلاقا من المقولة الشائعة في مجتمع التوارق تعبر عن ذلك (النسب يتبع البطن وليس الظهر) أي أن الابن يتبع أمه لا أبيه، فان المرأة في داخل التنظيم الاجتماعي تؤدي دور مهما في ذلك النظام ونظرا لكونها الناقل للإرث الاجتماعي والمحافظة للإرث المادي والمالكة لحق الانتساب وناقلة للجاه لأبنائها.

الحقيقة أن الظروف الطبيعية هي التي سمحت للمرأة التارقية في محيط الصحراء الكبرى أن تتأقلم مع الحياة القاسية الى يومنا هذا، فراحت تعتمد على نفسها في كيفية تدبير جميع أمورها، كما أن كثرة ترحال رجال التوارق وهم يقطعون أميال الصحراء ويجوبون مشارقها ومغاربها تاركين ورائهم النساء والأطفال والمسنين في منتجعاتهم وقت السلم والحرب كان دافعا آخر للمرأة التارقية بأن تحل محل الرجل في أحيان كثيرة تحمل أعباءه وتتقن أعماله، فتراها ترعى المواشي وتجلب الماء وتذهب للسوق لشراء الاحتياجات وغير ذلك من الأعمال اليومية الضرورية، وهي أيضا تقوم بصناعة الخيمة وتركيبها باستعمال جلود الماعز والجمال، إضافة لكونها الناقل للتراث، فالقصص الشعبية والشعر واللهجة أو اللغة والموسيقى يتعلمها الفرد من والدته، لأن المرأة التارقية هي الحافظ للتراث الشعبي بالإضافة إلي أنها الأديبة والمغنية والشاعرة، وتسعى دائما للحفاظ على هذا الإرث الثقافي الذي تزخر به المنطقة الصحراوية، ففي وقت المناسبات تحرص العجائز على إحياء هذه الناسبة سواء بالغناء أو الحكاية أو عن طريق القصائد التي تعبر عن تقاليد هذا المجتمع وهذا خوفا من زوالها وزوال مضمونها، فالمرأة تعتبر خزان الموروث

الثقافي للمجتمع كونها ماكثة بالبيت وهي المربية للأطفال عكس الرجل الذي يهتم بإعالة العائلة. إذ يعتبر التراث الأدبي الشفوي لدى التوارق رافداً من روافد الفلكلور لما يتضمنه من التعبير عن العادات والتقاليد والممارسات والفنون الشفوية ويشكل الفن الشعبي إلى جانب الأدب الشعبي مكونين هامين من مكونات بنية التراث الثقافي الشعبي باعتباره تراكما حضاريا وثقافيا عبر الأجيال والقرون، يتضمن العناصر المادية والمعنوية كالعادات والمعتقدات والفن والأخلاق والحرف وقدرات الإنسان وكل ما يكتسبه في المجتمع من سلوك قائم على الخبرة، والتجارب والأفكار المتراكمة عبر العصور، وهي تندرج عند علماء الانثروبولوجية تحت المصطلح العام الإثنوغرافيا، بما تتناوله من الحضارة العامة ونواحي السلوك الإنساني، جميعها من لغة ومعتقدات ودين وشعائر وممارسات وفنون دون إسقاط ما يعتريها من تحولات، وما ابتكارها لموسيقى أمزاد والتندي، إلا تعبير عن أهم أشكال التعبير النسوي في منطقة جانيت حيث تؤديها بالعزف على آلة الأمزاد [43]، وهي تعبر عما يختلج أحاسيسها ومعاناتها.

المرأة التارقية وفقا لطبيعة حياتها الصحراوية بكل صروفها ونوائبها، تجدها مختلفة ومتجددة دائما، تنساق في مجالات كثيرة وتتقن أدوارا عديدة حتى يتسنّى لهذا المجتمع الصحراوي أن يتمايل مع أي ظرف تفرضه عليه طبيعة حياته الصحراوية، وهي دائما مسالمة ومدافعة عن السلم غي ذاتها، وفي وسطها الأسري، وحتى في الدفاع عن أوطانها التي تنتمي إليه، معبرة عن ذلك من خلال الأشعار التي تردده العجائز الترقيات.

## الهوامش:

(1) Gaudio (A) : Le dossier de la Mauritanie, nouvelles éditions latines, Paris, 1978, pp10, 11,12.

(2) البيدق: أخبار المهدي بن تومرت، تح، عبد الحميد حاجيات، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص94.

(3) عبد الواحد المراكشي: م س، ص177. ابن عذاري: م س، ج1، ص97، وانظر أيضا،

p) : Tribus, et hnies et pouvoir du Mauritanie, Ep, Karthala, 1982, pp 18-24. (Marchesin

(4) أخبار المهدي: ص ص21، 22، 27، 28، 48، 50، 56، 60، 65، 66، 67، 73، 93.

(5) النويري:نهاية الأرب،ص ص397،398، الناصري:الإستقصا، ج2، ص81.

(6) هو داود ابن عائشة ،قائد عسكري وسياسي محنك في الدولة المرابطية ،وقد برز في معركة الزلاّقة الشهيرة سنة 489هـ/1095م، التي انتصر فيها المرابطون على قوات ملك قشتالة وليون ألفونس السادس، مما أمدّ في عمر الوجود الإسلامي بالأندلس عدة قرون أخرى، كما أسندت له مهمة عزل ملوك الطوائف سنة (485هـ/1092م)، وكلف كذلك بالدفاع عن الأندلس والإشراف على إدارة بعض الولايات الصعبة بها وذات المشاكل المعقدة، وقد ورث عنه أولاده وأحفاده الكثير من مهامه العسكرية والإدارية، كما ورثوا عنه اسم جدّتهم ك "يوسف بن داود بن عائشة"،ينظر،ابن القطان:م س،ص82، ابن أبي زرع:روض القرطاس،ص ص156،147،145،142، ينظر أيضا، .Lagardère: op-cit, pp101, 102, 174

(7) اشتهر عند بني صارة ثلاث ولاة وقادة عسكريين أشرفوا على إدارة عدة ولايات منها: تلمسان، سجلماسة وسوس، ينظر، البيدق: م س،ص ص، 48، 52، 91.

(8) نسبة إلى أحد القادة المرابطين البارزين في الأندلس، كان واليا على عدد من مدنها كأشبيلية وبلنسية،ومن أشهر أبنائها القائد محمد بن فاطمة، ينظر، ابن أبي زرع: م س،ص ص160، 162.

(9) نسبة إلى أحد أمراء المرابطين، أمه الأميرة فاطمة زوج السلطان علي بن يوسف بن تاشفين، وقد تقلد منصب القضاء آنذاك، ينظر، ابن عذاري: م س، ج4، ص56.

(10) نسب هؤلاء إلى أمهم "غانية المسوفية" ،وقبيلة مسوفة إحدى بطون صنهاجة، وقد برزوا كعمال على بعض المدن الأندلسية كقرطبة وبلنسية في عهد علي بن يوسف بن تاشفين،وبعد القضاء على الدولة المرابطية نظموا مقاومة الملثمين ضد الدولة الموحدية، وقد استقالوا حينا من الدهر بالحكم في جزر البليار، —جزر الأندلس الشرقية– وهي ميورقة ومنورقة ويابسة، ومنها انطلقوا إلى المغرب فاحتلوا بجاية المغرب الأوسط سنة (580هـ/1184م)، ثم لجئوا بعد طردهم من طرف الموحدين إلى إفريقية، إذ استمرت ثوراتهم على الموحدين إلى غاية سنة (606هـ/1209م)، ولم يقض على تمردهم نهائيا إلا الدولة الحفصية هناك، ينظر، عبد الواحد المراكشي: المعجب، ص269، ينظر أيضا،

Bel (A): Les Banou Ghania, Paris, 1903, pp3, 5, 6,14

(11) ابن عبد الملك المراكشي:م س، ج5،ص ص561،562.

(12) البيدق:م س، ص49.

(13) ابن أبي الزرع: روض القرطاس، ص53، النويري: م، س، ص385،

(14)Terrasse (h) : OP-CIT p p221, 222, 223, 224.

(15) ابن عذاري: البيان المغرب، ج4، ص18.

(16) اختلفت المصادر المغربية في تحديد تاريخ زواجهما، وطلاقهما فحسب ما ذكره ابن عذاري أن: "دخول أبو بكر معرسا بزينب النفزاوية كان في ذي القعدة من عام (460هـ/1067م) "، ص18، في حين ذكر ابن أبي الزرع: "أن الزواج لم يدم سوى 3 أشهر حيث رجع أبو بكر إلى الصحراء في ذي القعدة عام (453هـ/1061م)، أي كان زواجهما في شعبان من نفس السنة "،روض القرطاس، ص83، وإذن الفرق الزمني بين المصدرين هو ثمان سنوات.

(17) ابن أبي الزرع:م س، ج4، ص176.

(18) ابن عذاري: م، س، ج4، ص ص24، 25، ابن أبي الزرع: م،س، ص84.

(19) نفسه، ج4، ص29، ينظر أيضا، عصمت عبد اللطيف دندش: أضواء جديدة،ص168، حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، عصر المرابطين والموحدين، ط1،مكتبة الخانجي، مصر، 1980، ص61.

(20) ابن عذاري:م س، ج1، ص ص23، 24، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج7، ص113.

(21) ابن أبي الزرع: م، س، ص134، 135،ابن عذاري: نفسه، ج4، ص22.

(23) السويدي محمد: م س، ص96.

(24) –Duveyrier (H) : Les Touaregs du Nord, Challamel Aimé, Paris, 1864, p82. (1)

(25) المقاتلة اللمتونية، صاحبة اللثام ،المعروف عند المرابطين أن "اللثام" للرجال، ولكن قصة ارتداء " الفارسة فانو " اللثام كان من أجل تمويه جيش الموحدين بأنها أحد فرسان المرابطين، ينظر، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص99.

(26) أخبار المهدي، ص64.

(27) الأميرة بنت الأمير سير بن أبي بكر،البيدق:م س،ص49.

(28) أبو مصطفى كمال السيد: جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1997، ص64.

(29) الونشريسي: المعيار، ج1، ص85.

(30) عز الدين أحمد موسى: م س،ص35.

(31) ابن عبدون: ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، نشره ليفي بروفنسال، مطبعة المعهد الفرنسي للآثار الشرقية القاهرة، 1955، ص47.

(32) السقطي: في آداب الحسبة، نشر كولان وليفي بروفنسال، مكتبة أرنست لورو، باريس 1931، ص ص 54، 56.

(33) عز الدين أحمد موسى: م س،ص35.

(34) ابن القاضي: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس، ط دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص ص173،174.

(35) نفسه، 174.

(36) ابن عذاري: م س، ج4، ص22.

(37) ابن عذاري: م، س، ج4، ص ص56،57.

(38) ابن عبد الملك المراكشي:الذيل والتكلمة، س8، ص494.

(39) نفسه،س8، ص498.

(40) ابن عبد الملك المراكشي: م س، س8، ص493.

(41) النويري: نهاية الأرب، ص ص385،386.

(42) بن حامد: موسوعة حياة موريتانيا، الحياة الثقافية، دار العربية للكتاب، تونس، 1990، ج2، ص184.

(43) وهي كمان بوتر واحد، تعتبر آلة الأمزاد من أجمل التحف الموسيقية بالمنطقة، فهذه الآلة المحلية الصنع تشبه في شكلها تماما العود العربي، وهي مصنوعة من الكوسى "تزنوت" وأعراف الجياد "إمزدن نيس"، ويثبت على الكوسى جلد معز وقضيب من الخشب يربط عليه أعراف الجياد بإحكام، حتى يتمكن من إصدار ذاك الصوت الساحر، عبد السلام بوشارب: الهقار أمجاد وأنجاد، ط، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، رويبة، 1995، ص 132.